بسم الله الرحمن الرحيم

المشاركة في **الندوة العلمية** عنوانها:

خصائص الخطاب التعليمي البادیسي في ضوء معطيات اللسانيات التعليمية

تاريخها:

- بقسم اللغة العربية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة (الجزائر)

المداخلة و**عنوانها**:

التعليم البادیسي وأسئلة التعليمية

Badisi Education and Educational Questions

د. اليزيد بلعمش

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم

الإسلامية –قسنطينة.

البريد الإلكتروني: el-yazid@hotmail.com

البريد المهني: y.belameche@univ-emir.dz

الملخص: لا يختلف اثنان في الجهد الإصلاحي الذي قدمه ابن باديس (ت: 1359هـ-1940م)، وقد شمل هذا الجهد مجالات متعددة، كانت الحصة الكبرى في جهده الإصلاحي للمجال التربوي والتعليمي، حتى عرف بذلك، وتأتي هذه الورقة، لشرح المخطط العام الذي كان –رحمه الله-يسير حتى حقق هذا النجاح الباهر الذي أخرج المجتمع الجزائري من الجهالة المطبقة إلى نور العلم والوعي.

وسنتناول شرح هذا المخطط من خلال مقاربة منهجه التعليمي بأسئلة التعليمية المعروفة: ماذا ندرس؟ من ندرس؟ لماذا ندرس؟ كيف ندرس؟ وقد توصل المقال من ذلك إلى الوعي الفائق الذي كان عند هذا الإمام بهذه الأسئلة، وقد أكسبه هذا الوعي صلابة المنهج التعليمي عنده وقوة في التأثير.

الكلمات المفتاحية: التعليم؛ عبد الحميد بن باديس (ت: 1359هـ-1940م)؛ اللسانيات؛ أسئلة التعليمية؛ التعليمية.

Summary:

No two differ in the reform effort presented by Ibn Badis (1359 AH-1940 AD), and this effort included multiple areas, the largest share in his reform effort for the educational field, until he knew that, and this paper comes, to explain the general plan that was - may God have mercy on him - going until he achieved this resounding success that brought Algerian society out of ignorance applied to the light of science and awareness.

We will explain this scheme by approaching its educational curriculum with well-known educational questions: What do we study? Who do we study? Why are we studying? How to study? From this, the article concluded that this imam had the great awareness of these questions, and this awareness gave him the solidity of his educational curriculum and the power of influence.

Keywords: Education, Abdul Hamid bin Badis (1359 AH-1940 AD), Linguistics, educational questions, Educational.

المداخلة:

1- مقدمة:

لا زال المصلحون في كل عصر يحملون همّ أمة، والخروج بها من مآزق الزمان إلى أرض الأمان والتطور والازدهار، والدولة الجزائرية ليس ببعيدة عن هذه السنة الكونية، بل ولا زالت رحمها تخرج إلى الدنيا من يقوم بهذه المهمة أحسن القيام وأتمه، بل وقد كان من مصلحيها نماذج وتجارب ليس للجيل اللاحق فقط، بل حتى للأمم الأخرى، وما التجربة التي خاضها عبد الحميد بن باديس(ت: 1359هـ-1940م) وأصحابه ببعيدة عنا، فقد كافحوا في زمن كان من أقصى الأزمنة التي تمر بالشعوب، ظهروا في واقع دمره الاستدمار الفرنسي دمارا شاملا فلم يترك مجالا من مجالات الحياة إلا وأدخله عليه ما يمسحه ويفسخه ويمسخه، خاصة تلك المجالات التي لها تعلق بهوية الأمة ومقوماتها، وعلى رأس ذلك المجال الديني واللغوي والتعليمي، بل وقد ظهر ابن باديس بمنهجه الإصلاحي بعد أن مضى على الاستدمار الفرنسي في الجزائر مدة غير يسيرة (من 1830 - إلى 1920م) أي ما يقرب قرنا من الزمن هذه كلها والاستدمار يسعى في طمس الهوية الجزائرية الإسلامية العربية، ليظهر بعدها عبد الحميد بن باديس بمنهجه الإصلاحي في 1920م وبعدها بعشر سنوات تقريبا أي سنة 1931م، أسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رفقة إخوانه من العلماء الجزائريين، وفي ظرف وجيز استطاع أن يحدث خاصة في الجانب التعليمي ثورة عظيمة حطمت كل مخططات الاستدمار الخبيثة وأحلامه الدنيئة، فخرج بالشعب الجزائري من الأمية إلى القراءة والعلم، وخرج بهم من التعليم العشوائي غير المؤسس إلى نظام مدرسي، وخرج بهم من ظلمات الفراغ إلى نور الرسالية.

هذا المنهج التعليمي الذي وجد عند عبد الحميد بن باديس حري بنا أن ندرسه وأن نحاوره، وأن نتغلغل في مفاصيله لنتعرف على مكامن القوة فيه، خاصة في هذه الآونة الأخير التي صار فيها للمناهج التعليمية وطرائقها علم خاص بها يسمي بالتعليمية أو باللسانيات التعليمية.

1- اللسانيات التعليمية أو التعليمية: هي فرع من فروع اللسانيات التطبيقية، يعنى هذا الفرع بالأمور المتعلقة بالعملية التعليمية وظروفها وشروطها وكل ما يحيط بها، ويعود تاريخ هذا العلم إلى عام 1946م في البيئة الغربية وذلك عندما توجه الباحثون الغربيون إلى تعليم

اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية. وذلك في معهد ميتشجان، ومنها تأسست مدرسة اللسانيات التطبيقية في جامعة أدنبرة عام 1958م [1].

2- مجالات اللسانيات التعليمية: معلوم أن العملية التعليمية عملية معقدة تقوم على مشاركة أطراف كثيرة في بناءها، فلا يظن الظان أن التعليم هو الذي يجري في قاعة الدرس فقط، فكما هو معلوم ، أن "المدرس يستخدم كتبا مقررة، وأجهزة ووسائل تعليمية، ويعمل وفق أسلوب معين وجدول زمني، ويقوم تلاميذه باختبارات يصممها آخرون ".[2]... وغيرها من الأمور الأخرى.

وفي ضوء هذه الرؤية فقد ذهب عبده الراجحي إلى تقسيم العملية التعليمية على مستويات معددة، أبرز هذه المستويات[3]:

1- المستوى السياسي: وهو الذي يقرر الإجابة عن الأسئلة الآتية:

أتدرس اللغات الأجنبية؟ وأية لغة تدرس؟ وما المزانية لتنفيذ ذلك؟ وهذا مستوى أول من المستويات التي يكون التحضير للتعليم حتى يسير في منحاه الصحيح، ثم يشفع هذا المستوى بمستوى ثان يؤطره وهو:

2- المستوى الإداري: وهذا المستوى يهتم بالإجابة عن: ما الأهداف من تعليم اللغة ما ؟ وإلى من تقدم هذه اللغة؟ وما المدة اللازمة لتعليمها؟

ولهذا المستوى مستوى ثالث يضبطه وهو:

3- المستوى الثالث: ويتصل بما يجري في قاعة الدرس، ولهذا فهو يعكس الإجابة عن الأسئلة الآتية؛ وهي: كيف تقدم المعلومة للطلبة؟ ما يناسبهم في ذلك؟

.... وغيرها من المستويات الأخرى التي تحيط بالعملية التعليمية، ولكن بهذه المستويات الثلاث نكون وضعنا العملية التعليمية في إطار يمكن من خلاله أن نلم بالأطر العامة التي تحيط بالعملية التعليمية وتستوعبها، **يمكن لنا أن نلخص المستويات السابقة في أربعة أسئلة تلم بالموضوع وتحيط به من جوانبه، وهي: ماذا ندرس؟ من ندرس؟ لماذا ندرس؟ كيف ندرس؟ هذه الأسئلة هي أسئلة التعليمية**، وهذه الأسئلة تشمل محورين اثنين: السؤال الأول والثاني: يمثل سؤالا عن المحتوى، والسؤال الثالث والرابع هي هو عن المنهج والطريقة.

أ- المحور الأول السؤال عن المحتوى: ويتعلق به جانبان هما: ماذا ندرس ؟ ومن ندرس؟

أ- 1: ماذا ندرس؟: والمقصود به السؤال عن المادة الخام التي تقدم للطلبة في قاعة الدرس أو في الدرس كما هي عندما المواد التي تدرس: من بلاغة ونحو وصرف ... الخ.

---

[1] ينظر: عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي، درا المعرفة الجامعية-الإسكندرية، ط1995 (ص08).

[2] المرجع نفسه (ص13).

[3] ينظر: المرجع نفسه (ص13، 14).

أ-2: مَن ندرس؟: والمقصود بها الفئة التي تستهدف بالتعليم.

ب- المحور الثاني: السؤال عن المنهج والطريقة: ويتعلق بها سؤالين؛ هما: **لماذا ندرس؟ كيف ندرس؟**

ب-1: لماذا ندرس: وفي هذا المستوى نحدد الأهداف المبتغاة من العملية التعليمية.

ب-2: كيف ندرس: وفي يأتي الحديث عن الطرائق التعليمية وهي التي كثر عنها الحديث في الآونة الأخيرة كثرة طافحة.

وهنا نقول إذا كانت اللسانيات التعليمية كلها تدور حول هذه الأسئلة الأربعة، فإننا نأتي الآن لمحاورة الجهد التعليمي عند عبد الحميد بن باديس في ضوء هذه الأسئلة الأربعة، على وفق المحورين السابقين:

3- المحور الأول: المحتوى التعليمي عند ابن باديس: ويتم تناول هذا الجانب من خلال الحديث عن حانبين هما: ماذا درَّس ابن باديس؟ من درس؟

1- ماذا درَّس ابنُ باديس؟: ولم يكن هذا الأمر غامض عن ابن باديس وإنما هو من تكفل بتوضيح المحتوى الذي يقوم بتدريسه خاصة بعد إنشائه لجمعية العلماء المسلمين حيث يقول: :تشتمل الدروس على: (1) -التفسير للكتاب الحكيم (2)-وتجويده (3)-وعلى الحديث الشريف (4)-وعلى الفقه في المختصر وغيره (5)-وعلى العقائد الدينية (7)-وعلى الآداب والأخلاق الإسلامية (8)-وعلى العربية بفنونها من نحو وصرف وبيان ولغة وأدب (9)-وعلى الفنون العقلية كالمنطق والحساب وغيرهما"[4].

وهو تعليم "لا يخرج عن كونه تعليم دينيا لغويا مع قليل من العلوم اللغوية العقلية"[5]، بل نقول هو ديني محض، لأن كل من العلوم اللغوية والعلوم العقلية التي أدخلها ابن باديس في التدريس إنما هي خادمة للعلوم الدينية.

2- مَنْ دَرَّسَ عبدُ الحميد بنُ باديس؟ : إن الإجابة عن هذا السؤال عند عبد الحميد تجعلنا فعلا نعجب من المنهج التعليمي عند هذا العلم، لأن تعليمه قد توجه به إلى كل طبقات المجتمع، وأي مجتمع؛ مجتمع كان يرفل تحت وطأة الاستدمار؛ فهو أحد ثلاثة رجال، أحدهما أرهقه كاهل الجوع والفقر، والآخر تلوث بلوثة فرنسة ورومنة فتلوث فكره وانسلخ من مقوماته، وثالث متعطش ظمآن لم يجد المنابع الإيمان والعلم التي تروي هذا الظمأ والعطش، كل هذا كانت توجهه سياسة التجهيل التي ينتجها الاستدمار الفرنسي.

---

[4] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، الناشر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط1، (عام 1388 هـ - 1968 م) (ج3، ص195).

[5] رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن بادبس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر، دط، دت (ص318)

لقد استطاع ابن باديس رحمه الله أن يستوعب هؤلاء جميعا في تنظيم مبدع، أن يضع واحد من هؤلاء ما يناسبه من التعليم والدروس:

أما بالنسبة للعامة ممن شغل بتتبع لقمة العش: فقد جعل لهم دروسا دائمة تتناول التفسير والحديث، ففي التفسير أقام لهم دروس مجالس التذكير من كلام العليم الخبير، وفي الحديث أقام لهم دروس مجالس التذكير من كلام البشير النذير، وهي دروس تتناول اختيار آيات وأحاديث تخدم واقع الناس وانشغالاتهم أو ما يتعلق بإصلاح سلوكاتهم، وهذا حسب رؤية عبد الحميد ابن باديس تقريب لهؤلاء من المنابع الصافية للدين، وتقريب لهؤلاء من روح الدين ولبه يقول في هذا السياق بعد أن ذكر أهمية الرجوع إلى القرآن والحديث في التعليم: "هذا هو التعليم الديني السني السلفي، فأين منه تعليمنا نحن اليوم وقبل اليوم، بل منذ قرون وقرون؟ فقد حصلنا على شهادة العالمية من جامع الزيتونة ونحن لم ندرس آية واحدة من كتاب الله، ولم يكن عندنا أي شوق أو أدنى رغبة في ذلك. ومن أين يكون لنا هذا ونحن لم نسمع من شيوخنا يوما منزلة القرآن من تعلم الدين والتفقه فيه، ولا منزلة السنة النبوية من ذلك. هذا في جامع الزيتونة فدع عنك الحديث عن غيره ممّا هو دونه بعديد المراحل"[6].

أما بالنسبة لغيرهم من الطلبة، وهو من المقبلين على التعلم، فقد "نظمهم تنظيما دقيقا من كافة النواحي: التربوية والأخلاقية والغذائية والصحية"[7]، هذا كله من أجل أن يشرف عليهم هو بنفسه في الجامع الأخضر، فكان بذلك: معلمًا ومربيًا وأبًا وأمًّا وطبيبًا. بل ونظمهم فيما بينهم فجعل بينهم نظام العرفاء، وجعل لهم لجنة تشرف على سيرهم واهتماماتهم[8].

وهذا وعناية عبد الحميد بمن يُد لم تتوقف عند هذا الحد، امتد اهتمامه إلى داخل بيوت الجزائريين إلى تعليم المرأة، فهو يرى "أن العناية بالرجل تستلزم العناية بالمرأة شقيقته في

---

[6] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج3، ص219).

[7] رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن بادبس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، (ص321).

[8] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج1، ص116، 117).

وهذا النص من مقدمة التي قدم بها **مالك بن نبي** يبين كيف كانت الانطلاقة الأولى لعبد الحميد بن باديس: "علَّم الأستاذ الإمام في المسجد الكبير وفي سيدي قموش وسيدي عبد المؤمن وسيدي بو معزة ومدرسة جمعية التربية والتعليم والجامع الأخضر وسيدي فتح الله، وهذه المؤسسات كلها ما زالت إلى اليوم. كان التعليم في مساجد قسنطينة لا يشمل إلا الكبار، وأما الصغار فإنهم يتعلمون القرآن فقط في الكتاتيب على طريقة المغاربة التي يذكرها ابن خلدون في مقدمته، وأول عمل تربوي تعليمي سجله ابن باديس في قسنطينة كان في سنة 1332هـ فكان يعلم صغار الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم منها صباحاً وعشية ثم بعد بضع سنوات أسس مع جماعة من الفضلاء المتصلين به، مكتباً للتعليم الابتدائي وذلك في مسجد سيدي بو معزة ثم انتقل إلى بناية الجمعية الخيرية الإسلامية التي تأسست سنة 1917م وفي سنة 1349هـ 1930م تطور مكتب الجماعة إلى مدرسة جمعية التربية والتعليم الإسلامية، حيث حرر ابن باديس القانون الأساسي وقدمه باسم الجمعية إلى الحكومة فصادقت عليه دون أن ترى نتائجه بتاريخ رمضان 1349هـ مارس 1931م واعترفت بالجمعية في الجريدة الرسمية وتكونت هذه الجمعية من عشرة أعضاء برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس وجاء في القانون: إن مقصود الجمعية نشر الأخلاق الفاضلة، والمعارف الدينية، والعربية، والصنائع اليدوية، بين أبناء وبنات المسلمين،... " الآثار (ج1، ص114) وما بعدها.

الخلقة والتكليف وشريكته في البيت والحياة"[9]. ثم بيَّن -رحمه الله- ما يجب أن تكون عليه المرأة من الوعي والثقافة الدينية والحياتية ، قال بعدها: "والطريق الموصل إلى هذا: هو التعليم: تعليم البنات تعليما يناسب خلقتهن ودينهن وقوميتهن"[10]. ولم في دعوته إلى تعليم المرأة القصد منه تخلي المرأة عن مهمتها ووظيفتها وهي التربية ولهذا حذر من نوع من التعليم هي في الحقيقة تجهيل، يقول: **"فالجاهلية التي تلد أبناءً للأمة يعرفونها مثل أمهاتنا- عليهن الرحمة- خير من العالمة التي تلد للجزائر أبناء لا يعرفونها، تعليم كل واحد لأهله بما عنده من علم"**[11].

وخلاصة هذا السؤال التعليمي يقول فيها ابن باديس رحمه الله: **"ويوم نسلك هذا الطريق في تعليم المرأة، والطريق السابق في تعليم الرجل سلوكا جديا نكون- بإذن الله- قد نهضنا بهما نهضة صحيحة نرجو من ورائها كل خير وكمال"**[12].

هكذا اعتنى ابن باديس بمن ندرس؟

4- المحور الثاني: السؤال عن المنهج والطريقة: سبق وأن ذكرنا أن هذا المحور يتضمن جانبين؛ هما: **لماذا ندرّس؟ كيف ندرّس؟**

1- لماذا درَّس عبد الحميد ابن باديس: وعند البحث عن الإجابة عن هذا السؤال في المشروع التعليمي الباديسي، عثرت على نص له عنونه بعنوان يلخص فيه عبد الحميد غايته من الحياة كلها، وليس الغاية من التعليم والتربية فقط :هو: **"لمن أعيش؟"**[13]، ثم يختصر الإجابة عن هذا السؤال في كلمتين هما: **"للإسلام والجزائر"** ثم ما يلبث أن يعقب هذا الجواب بسؤال ثان يضعنا في حيرة وتردد يقول فيه: **"إنّ هذا ضيق في النظر، وتعصب للنفس، وقصور في العمل، وتقصير في النفع. فليس الإسلام وحده ديناً للبشرية، ولا الجزائر وحدها وطن الإنسان ولأوطان الإنسانية كلها حق على كل واحد من أبناء الإنسانية، ولكل دين من أديانها حقه من الاحترام"**[14]. لكن في حقيقة الأمر أن هذا السؤال تبرر فيه هذا علة هذا الخيار الذي يكون معه المرء أكثر اطمأنا وأكثر اقتناعا وأقوى صلابة بهذا الهدف، وكلما كان المرء كذلك كان أثبت عليه وأرسخ فيه.

فراح يعدد العوامل التي جعلته يعيش للإسلام كونه الدين:

"1- الذي يحترم الإنسانية في جميع أجناسها فيقول: (17/ 70) {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}

-2- ويقرر التساوي والأخوة بين جميع تلك الأجناس ويُبَيّن أنهم كانوا أجناساً للتمييز لا للتفضيل وأن التفاضل بالأعمال الصالحة فقط فيقول: (49/ 13) {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}

---

[9] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج3، ص467).

[10] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج3، ص469).

[11] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج3، ص470).

[12] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج3، ص470).

[13] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج3، ص234).

[14] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج3، ص234).

-3- ويدعو تلك الأجناس كلها إلى التعاطف والتراحم بما يجمعها من وحدة الأصل ووشائج القرابة القريبة والبعيدة فيقول: (4/ 1) {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ....

-4- ويقرر التضامن الإنساني العام بأنَّ الإحسان إلى واحد إحسان إلى الجميع، والإساءة إلى واحد أساء إلى الجميع فيقول: (5/ 35) {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ ... " [15]

وهكذا يواصل فيجعلنا أكثر إيمانا وأشد قبولا وأملأ اقتناعا بما يقرر. ثم يفرغ بعد لتقرير ولماذا الجزائر؟! فيقول عنها: **" أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص، وتفرض عليَّ تلك الروابط لأجله- كجزء منه- فروضا خاصة، وأنا أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة. فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل بشيء تتصل به مباشرة. وكما أنني كلما أردت أن أعمل عملا وجدتني في حاجة إليه: إلى رجاله وإلى ماله وإلى حاله وإلى آلامه وإلى آماله، كذلك أجدني إذا عملت قد خدمت بعملي ناحية أو أكثر مما كنت في حاجة إليه... فنحن إذا كنا نخدم الجزائر فلسنا نخدمها على حساب غيرها ولا للأضرار بسواها - معاذ الله - ولكن لننفعها وننفع ما اتصل بها من أوطانٍ الأقرب فالأقرب"[16].**

وهكذا يجعلنا نردد جميعا بصوت واحد كجسد واحد وبفم واحد: **"نعم! نعم! بصوت واحد. فلنقل كلنا: ليحيي الإسلام! لتحيا الجزائر"[17].**

وبعد هذا يمكن أن نقول مثلما قال مالك بن نبي عن الفلسفة التربوية عند ابن باديس وأن نصل إلى وصل إليه من أنها هدفها عنده : **"وإنما يرمي إلى بناء الشخصية البشرية في شمولها وكليتها، ووحدتها، من حيث طرق الفكر، والشعور، والعمل، وهذا ما انتهى إليه المربون المعاصرون ... ومساعدة الفرد على النمو في هذا الاتجاه الذي يخترم الإنسانية باختلاف مذاهبها ونزعاتها" [18]**، وهذا يرمي إلى **"هدف واحد أساسي وهو النهضة التي تؤدي إلى الحضارة، وأول خطوة في طريق الحضارة إنما هي تكوين الإنسان وربط أفراد المجتمع في شبكة من العلاقات الاجتماعية لتحقيق هدف مشترك، وهذا هو عمل التربية الاجتماعية التي خصص لها حياته كلها"[19]**

بهذه الرؤية وهذه الفلسفة يؤسس ابن باديس رحمه الله أهدافه ورؤاه، وإنها حقا فلسفة عميقة تتجاوز حدود الذات والزمن والمكان، لكنها في الوقت ذاته تبدأ من نفس متوقدة ومن زمن يوصف أصعب الأزمنة وأعقدها، ومن مكان محاصر ضيق عليه، لكن نفسه غلبت كل تلك القيود وتحررت من تلك القيود والظروف.

2- كيف درَّس عبد الحميد بن باديس: حقيقة عندما نأتي إلى الحديث عن الكيفية التي انتهجها ابن باديس في التعليم، نجد أنفسنا أعجز من نطيف بتفاصيل هذه الكيفية كونها امتازت بالشمولية في التتبع ، وبالدقة في التطبيق، هذا ما جعلها عصية عن التلخيص.

---

[15] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج3، ص234 ...236).

[16] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج3، ص236...237).

[17] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج3، ص237).

[18] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج1، ص105).

[19] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج1، ص106).

وأول ما بدأ به عبد الحميد ابن باديس طريقته في التدريس ومنهجه في ذلك، أيمانه القاطع بالاستفادة من التجارب السابقة عليه، فرأى وجوب مراجعة ما عليه المناهج التدريس في زمنه، ولهذا نجده يقول: **"لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم...ولن يصلح العلماء إلاّ إذا صلح تعليمهم..... ولن يصلح هذا التعليم إلاّ إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه في مادته وصورته"**[20]. وعليه فالطريقة المثلى في التعليم هي الرجوع به إلى الطريقة التي أسماها هو بالطريقة السلفية، وهي الطريقة النبوية في التعليم. فما ميزات الطريقة النبوية التي فضلها ابن باديس؟!

إن الخاصية التي امتاز بها التعليم الديني في عهد السلف الصالح هو التفقه في الدين بالتفقه في القرآن والأحاديث النبوية، وأن الداء العضال الذي أصاب عصرنا –عصر ابن باديس-هو هجر القرآن والسنة، والاقتصار على الفروع العلمية المنشرة دون استدلال، ولا تعليل، ولا أدل على هذه الحالة من الحالة التي كان عليه حال الزيتونة، وهو ما هو في التعليم[21].

والحيد عن هذا الطريق هو وقوع في مزلق خطير من مزالق سوء التعليم، وهو: **"الإعراض عن ربط الفروع بأصولها ومعرفة مآخذها"**[22]، ومما يدخل في هذا الإطار وينبغي مراجعته والاهتمام حتى ترتبط الفروع بأصولها: **"مسألة الفنون وكيفية تعليمها فنرى أن يشتمل منهاج التعليم المشترك على اللغة والنحو والصرف والبيان، بتطبيق قواعد هده الفنون على الكلام الفصيح للتَّحصيل، وأما قراءتها بلا تطبيق- كما الجاري به العمل اليوم- فهو تضييع وتعطيل وقلة تحصيل، وعلى تاريخ الأدب العربي وعلى تعلم الإنشاء وعلى تعلم حسن الأداء في القراءة وإلقاء الكلام"**[23]، وهكذا تجتمع عند المتعلم الوعي النظري، والإجراء التطبيقي.

ومن هنا أخذ عبد الحميد بن باديس على عاتقه نمطين من التعليم[24]:

أ- التعليم المسجدي: وهذا يكون لعامة الناس، وهذا كان يمارسه في مساجد قسنطينة المختلفة خاصة منها الجامع الأخضر، لأنه كان مقتنعا تمام الاقتناع أن **"المسجد والتعليم صنوان"**[25]، وأن التعليم إن كانت لابد له من كلية، فإن " **أن نواة هذه الكلية هم الطلاب الذين يردون على الجامع الأخضر بقسنطينة من العمالات الثلاث"**[26].

---

[20] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج3، ص217).

[21] ينظر: عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج3، ص219).

[22] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج3، ص219).

[23] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج3، ص183).

[24] ينظر: رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن بادبس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، (ص311).

[25] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج3، ص225).

[26] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج3، ص225).

ب- التعليم المدرسي: وهو تعليم حديث، ويكون للأطفال المتمدرسين في مدارس التي فتحتها جمعية العلماء المسلمين. وكانت تستخدم عدة وسائل بحسب المتاح في ذلك الزمن، وكان من أبرز هذه الوسائل: قراءة الكتب، كان من بينها: **الموطأ، أقرب المسالك، الرسالة، ابن عاشر، الزندبوي، المفتاح، التنقيح، السلم، المكودي، القطر، الآجرومية، الزنجاني، اللامية، السعد، الجوهر المكنون، من ديوان الحماسة، من ديوان المتنبي، آمالي القالي، من مقدمة ابن خلدون**[27].

هذا هو التعليم الباديسي في ضوء الأسئلة التعليمية، لنكتشف في الأخير أن هناك سؤال مهم من أسئلة التعليمية، لم يعط حقه من الدراسة، وله من الأهمية والخطورة ما لا يخطر على بال، رأيناه من خلال تتبعنا للسيرة التعليمية لعبد الحميد ابن باديس، هو: **مَنْ يقوم بالتدريس؟** إنه هو من يصنع العلمية التعليمية.

خاتمة:

من الصعب جدا أن يختزل جهد ابن باديس في كلمات وجيزة، لأن جهده رحمه الله تجاوز الإطار الزمني فشمل زمانه، وما بعد زمانه، وتجاوز شخصه فلم يعد لها ذكر أمام مشروعه الإصلاحي، حتى أنك تقول: هذا لا يملك رغبة ولا نفسا، وتجاوز المكان فصارت تعليمه الديني مصدر إشعاع، ومنارة هدى للمصلحين والمعلمين.

فشخص بحجم ابن باديس يصعب اختزاله ويصعب اختصاره، لأنها شخصية بحجم أمة، شخصية منارة في طريق التعليم، اجتمعت فيها خصائص ومناهج وطرق، اجتمع فيها الشمولية والخصوصية اجتمع فيها الدقة والبساطة، اجتمع فيها التصور النظري والعمل الإجرائي الميداني، وهذه الميزة الأخيرة أحسب أنها من الميزات التي صقلت تجربة عبد الحميد بن باديس وتركته في كثير من الأحيان يلجأ إلى التعديل والاستدراك، وتوجيه النصح في هذا المجال، واستثمار ذلك في المراحل المتتالية مما جعل لعمله ثمارا جساما، ما زلنا إلى يومنا هذا ننعم بها، ونستظل بظلالها الوارفة.

---

[27] عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، (ج3، ص229).